

الحياة صادرة

بين الصوفية والبهاء

والمادية الصماء !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

—»»»«««—

الاعتراف بما أخرجته الحياة — السبيل إلى تعديل المادية
الصماء — المجال الخصيب للجهد البشري — قضية لا شك
فيها — الفكر والعمل — موازنة — عوامل الحياة
أمنية — كفاح الحياة لحفظ الأحياء — إشارات إلى المستقبل

كل ما نجده في الحياة يجب الاعتراف به وعدم إسقاطه من
حسابنا ... فإذا ثبت أنه بنى عوامل الحياة ، وأنه من وسائل
تقدمها المادى والمعنوى ، فهو إذاً من عالم الخير والصالح ، ويجب

والتسخير ، وإن المسألة كلها « حبة اقتصادية » ومضاربة مالية
تتبدل من زمان إلى زمان كما تتبدل صفقات الإنتاج وأسعار
الأسواق .

وكارل ماركس قد رأى أناساً يرهقون أنفسهم في طلب الرزق
ويعملون فوق طاقتهم لادخار القوت أو الثراء ، ولعل هؤلاء أكبر
عدداً ممن يرهقون الأبناء والبنات في طلب المعاش وهم مكرهون
أو مختارون ، فلماذا أبطل عواطف الأسرة وأواصر الأبوة والأمومة ،
لأن بعض الآباء والأبناء ينتفعون بجهود أبنائهم ويسرفون في
الاستفاح ، ولم يبطل عواطف « الأنانية » وحب الذات أو حب
البقاء ، لأن أناساً من الخلق يجورون على أبدانهم وأذهانهم وهم
يعملون لجمع الحطام ؟ لماذا تكون الأسرة « غير طبيعية » ، لأنها
تسخر للنفقة ولا تكون « الأنانية » غير طبيعية كذلك لأنها
تسخر للنفقة على هذا النوال ؟

إن حاجة النفس الإنسانية إلى وشائج الأسرة لم تبطل قط
في مجتمع من المجتمعات ، وإن آداب الاجتماع قد تنفذ في إصلاح
الأسرة أو وقايتها من عيوب الأفراد سواء كانوا من الآباء
أو الأبناء . ولكن المجتمع لا يملك دليلاً واحداً يحوره إلغاء

الوقوف في صفه والدفاع عنه والإكثار منه ... وإذا ثبت أنه من
عوامل الإقناء والفساد ، أو من معوقات تقدم الحياة ، وجب
الوقوف في وجهه ومكافحته وإفثاؤه .

وعلى هذا يبني ألا تنور على أى عامل من عوامل نمو الحياة
ومصلحتها ، مهما بدا أن فيه تكليفاً مجهداً ، كما ينبغي ألا ينقو
على أى عامل من عوامل فساد الحياة ، مهما بدا أن فيه لذة عاجلة .
ومصلحة الاجتماع البشرى كله هي محور هذا ؛ لأن حياة
الاجتماع هي طريق الترقى والقدرة على تسخير عوامل الطبيعة .
فلنستطيع السير وراء النظريات التي تنظر إلى الأفراد
كوحداث مستقلة عندما نتحدث عن الإنسانية العامة ، بل
لا نستطيع السير في هذا المقام وراء النظريات التي تنظر إلى
الشعوب والأمم كوحداث مستقلة ، وإنما نسير وراء النظرية التي
ترى إنسانية واحدة أمام طبيعة واحدة !

تلك أولى المقدمات في السبيل إلى إدراك صدق الحياة ،

الأسرة — إن أراد — حتى لو صح أن المرجع إليه وحده في
نشأة الأسرة وتتابع أطوارها ، لأنه يقبى على غير شيء حين
يقيس المستقبل على الماضي في هذه القضية ، ويعتسف طريقاً جديداً
لا مسوغ لاعتسافه من الطبيعة ولا من الاجتماع

ولست أعنى بما تقدم أن كتاب الأستاذ عبد الواحد ينحو
هذا النحو أو يقضى إلى هذه النتيجة ، لأنه في الواقع لم يعد
تقرير الحقائق الاجتماعية التي حصلها أساطين هذا العلم من لا يدنبون
بالماركسية ، ولعلمهم بنكرونها إذا عرضوا لها بالبحث والمناقشة ،
ولكنني عانيت أن الكلام عن الأسرة في زماننا هذا خليق أن
يقترن بالحذر والحيطه لئلا يؤخذ على غير مأخذه أو يعين على غير
قصده . ولهذا رجعتنا بنظام الأسرة إلى مرجعه من غرائز الحياة
في أبسط الأحياء ، ولم نشأ أن نقصر الحكم فيه على الاجتماع
أو من يصطنعون الدعاية الاجتماعية ، لأن الأمر أعظم وأبقى مما
تتناوله المذاهب والدعوات

عباسي محمود العقاد

الجهلة على المحدثين القادرين ، ما دامت الحياة الحاضرة قد جرت هذه المتاعب وهذه الضجة الآلية التي ملأت الياوس والماء والهواء فأقلقهم . فذهب هؤلاء وأولئك بالطبع غير ملائم لنمو الحياة واطراد تقدمها ، فيجب إهداره وعدم الالتفات إليه ؛ لأنه مذهب فيه ارتداد وانتكاس وتشاؤم ومقاومة لدورة الفلك التي اعتقد أنها تجري بالناس إلى غاية صالحة لا بد من الوصول إليها ، لأن الله لم يخلق هذا العالم الإنساني لكي يضيعه أو يعوقه أو يفوت على نفسه الغاية من خلقه .

هو مذهب يحول بين معتنقيه وبين حياة القوة والسيادة على مرافق الطبيعة ، وهي سيادة لا يظفر بها إلا من اتصل بها اتصالاً وثيقاً وتعرف إلى الأسرار المكونة فيها ولم يقف عند حد مادامت الطبيعة تفتح له أبوابها وترفع أستارها ...

ومع أن مذاهب الإزراء والتحقير للمادة وشؤونها والتشاؤم والنظر إلى الوراء دائماً والانتقاض على الحاضر ، لم تظهر في مرحلة من مراحل تاريخ الإنسانية ، ومع أن الإنسانية لم تلفت لقاتليها أي التفات يبرر مضغ قضايها وترديد دعواتها ... نجد كثيرين من الدعاة الدينيين والفلاسفة والشعراء يصرون على إحياء الدعوة إليها وتحكيمها في الحياة وإفهام الناس أن في الأخذ بها عقلاً وحكمة وإصابة لأهداف الحياة ... واعتقادي أن أكثر الإخفاق في تعديل العقلية المادية الصماء وتقليل جشعها وتوسيع ضيقها راجع إلى هذه المبالغة من هؤلاء السادة في إهدار القيم المادية للحياة ، وإلى مبالغتهم في تجريد الحياة الإنسانية من ملاسبات المادة ، وإلى افتراء أكثرهم في إلصاق مذهبهم هذا بالسألة الدينية التعمدية التي هي لباب القلب البشري ومصباح العقل الإنساني . حتى لقد أعرض وأجفل كثير جداً من الناس من الإقبال على الله والاعتقاد به ، وحاول كثير منهم أن يخفوا صوته المجلجل في ضمايرهم ويتجنبوا التفكير فيه ، حتى لا يحرمهم ذلك من تذوق الحياة في دنياهم والعمل المادي فيها والإحساس بها والتمتع بطبيعتها التي رأوا هؤلاء للتشأعين المحرومين يتبحرونها وينفرون عنها ، ويرغمون أنها عبث ومأساة وخديعة ومجلة لسخط الله وخذلانه ...

لقد ثبت أن المادة هي مجال عمل إنساني خصب ثابت دائم

وتصور ما بها نصوراً صحيحاً ، وتصحيح عقائد الناس فيها ، وحلهم على الكفاح لإسماع أنفسهم في رحلتهم إلى الأرض أولاً ، وإلى المللكوت الذي ينتظرهم بعدها ثانياً .

ولكن مع الأسف يحاول كثير من الأدباء والفلاسفة والصوفية أن يفروا من وجه الحياة وينطلقوا مما يسمونه سجونها وأقفاصها ، ويقللوا من قيمة الجانب المادي فيها ويقللوا تبعاً لذلك من قيمة الجهد الصناعي الإنساني ، ولا يعترفوا بالأجسام والشخوص والشكول الواضحة التي تملأ الحواس ، وتشغل الوعي الذي وراءها ، وتشير كفاية العمل إلى تقليدها ومحاكاة نماذجها ... كأنهم لا يرضيهم إلا أن تكون الدنيا رموزاً مبهمه وأفكاراً طليقة غير معدودة ولا مبلورة ...

إن المادة التي بها يضيئون ذرعاً ، ويحاولون أن ينفثوا من سجونها وأقفاصها خلق عجيب لا يليق بنا أن نزعق تفاهة اتصال النفس به وإعماق الفكر به . وإن أساطين العلم في حيرة من أمر نشوئها وتعدد عناصرها . وقد خلقنا فيها وصورنا منها ، لنذكرها ونعرف إليها ونعجب ...

إننا ندرك الله تعالى وقدرته وعلمه من عمله البديع في دولة الأجسام والأشكال ... ولم يأخذنا جميعاً إليه بأي دليل إلا من الأدلة المبثوثة فيها أو المرتبطة بها ...

إنها من أوعية أسرارها ، ومجلى أنوارها التي يرسلها إلى عقولنا وقلوبنا حتى نهتدى إليه ونؤمن به من غير أن نراه .

فلماذا تلك الحملة عليها والإزراء بها والتهوين من شأنها ؛ كأننا صرنا خالقين مبدعين قد أبدعنا شيئاً غيرها أو ظفرنا جميعاً بأمر عجيب خارج عن نطاقها !

قد يكون من المعقول أن نتطلع إلى القدرة التي أبدعت الطبيعة متلهفين إليها أن تطلعننا على عجائب ما لا نراه مثل ما أرتنا من هذا العجب الذي نراه ؛ فإن هذا دليل على شدة الحساسية ويقظة الأشراف وحسن الإدراك والتقدير لتلك القدرة ... ولكن ليس من المعقول أن نحقر ما نراه ونزري به ونزعم أنه تافه ؛ فننبو عنه حواسنا وعقولنا ، ونبحث عما عداه من الخبوء ، ونتطلع إلى ما وراءه مع أننا لم نقرغ من استيعابه وإدراك جميع أسرارها .

ويحاول آخرون أن يفضلوا حياة الأقدمين الحاليين المعجزة

النفع للإنسانية جميعها ، وأنها هي الشيء الوحيد الذى تلتقى فيه الإنسانية بأفكارها وأيديها ، وترتفع منه مرافق نفعا جميعاً .

أما المذاهب والفلسفات النظرية فلم تلتق فيها للآن . فلا غرو إذا كان الإكثار منها والإسراف فيها مما يزيد الإنسانية افتراقاً وبلبلة وتقطع أسراً .

وقد يجد أنصار الشك سبيلاً إلى كل قضية فكرية ، ويستطيعون أن يلبسوا فيها حقاً بباطل ، وبقيناً بشك ، لإفضية فكرية واحدة ، هي قضية « تفوق » الإنسان واطراد تقدمه المادى المبني على أساس إدراكه أسراراً من الطبيعة . وهذا يجعلنا نتجه إلى إعطاء هذا الجانب من حياته أعظم اهتمام ، حتى نخترق به حجاباً وراء حجاب مما يديننا من الراحة والسعادة والعلم بالأسرار ؛ بل يجب أن نتخذ هذا الجانب العظيم فى الإنسان أساساً للإيمان به وبصدق الحياة كما هي ثابتة فى فكره العام . وإن هذا يعطى الثبوتين لحقائق الأشياء حججاً دامغة ، ويقضى على مذاهب السفطة والتشكيك . بل متى اتخذ هذا الجانب العظيم أساساً لحياة الفكر صرح اعتباره أساساً للوحدة الإنسانية الشاملة التى طالما دعا إليها النظريون فلم يستمع إليهم إلا الأقلون ؛ لأنهم اعتمدوا على نظريات تختلف باختلاف الأجناس والبقاع ، وليست عامة يراها سكان الأرض جميعاً رؤية واحدة ويخضعون لتأثيراتها خضوعاً واحداً كما هو الحال فى رؤيتهم وخضوعهم لتأثيرات الأبحاث الطبيعية ذات الآثار الواحدة فى جميع الأمكنة والأزمان .

ولقد أثبتت سيادة الغرب على الشرق أن عالم القوة المادية هو أساس حياة الحق وعمادها ، وأن الحق المجرد لا يعدو أن يكون فكرة فاكراً ، أو حلم حالم ، ما لم تبرزه القوة المادية وتجسمه فى أشخاص وآلات .

وبعد أن رأينا مَرَدَّةَ الجوى والبحر والبر يقذفون القنابل مصارعاً لراهبات الكنائس ، وأطفال المدارس ، وعجائز المنازل ، وغير هؤلاء من عباد السلام والحق والرحمة : كيف يصح لنا أن نقول إن هناك حقاً يدافع وحده عن نفسه أمام باطل مدرع بياسه ؟ !

وبعد أن رأينا أمماً كأمم الهند وشمال إفريقيا تعبد الله بالأقوال والأشعار ، وتسبح بحمد الحق ليل نهار منذ مئات السنين ، فلم

يحميها ذلك أمام سيادة القوة وجبروتها ؟ !

إننا لم نجد غير الأقوياء بالقوة المادية مضطربين بأعباء الحياة الاجتماعية ، فهم أسرع الذين يؤثرون فى الأخلاق وفى سير الحياة ، ومن عداهم فلا تأثير لهم فى مجرى الحياة إلا بمقدار ما تسمح القوة المادية بدراسة آرائهم ومذاهبهم . فلو أن ذوى الأفكار العليا والأخلاق الكاملة التمسوا القوة المادية كالتماسهم الحق ، وأثروا بها فى مجرى حياة الجماهير ، إذاً ما وجدنا هذا التخلف الفظيع بين حياة الفكر والتخلق وحياة الواقع .

مهما صفا الفكر وامتلأ بالخواطر الراجحة الكريمة فلن يجدى المجتمع جدوى واسعة متعددة ، إلا إذا عاونته اليد بوسائل تنفيذ ما يمتلى به .

ومهما امتلأت العابد فلن يجدى امتلاؤها الحياة شيئاً ، إلا إذا امتلأت الشوارع والمعامل والأسواق الحقول والجيش من ينفذ روح العبادة فى هذه المجالات .

كل فكرة معرضة للفناء السريع ، أو للركود والدفن فى الصحف ، إذا لم يسمفها التجسيم والتشكيل والتطبيق .

والفكرة إذا جست فى قالب دخلت باب الوجود الحسى ، وصارت محلاً للتجسين والنمو والتجميل ممن يأتى بعد صاحبها الأول . أما إذا تركت حيث انبثقت فهي كائن موقوت من عالم الأطياف !

فيا رجال التصوف والشعر من كل جنس ! لا تحاولوا أن تصرفوا الناس عن حياتهم المادية ، فقد صارت جميلة معقدة متنوعة مغرية ذات قيمة كبيرة وسلطان على النفوس ؛ وحاولوا أن تفهموا أنتم وأن تفهموا الناس أن الدين جزء من الحياة ، وليس منفصلاً عنها إلا فى جزاءاته الموعودة فى المصير الآجل المحتوم .

ومن السهل إفهام الناس ذلك فى هذا العصر الذى اتسعت فيه أدوات الإقناع والتأثير .

اجملوه امتداداً لأحلام الناس فى السعادة والجمال الذى يفت بم من دنياهم ، ولا تجعلوه حرماناً وخوفاً وضعف تشاؤم وبكاء . اجملوا الأخرى صورة كاملة مضخمة دأمة من هذه الآثار

الناقصة القافية

ومن السهل أن تجردوا من منطق العقل ومنطق الوجدان

ومنطق القدرة العملية للانسان حججاً للاقناع ...

أيها أوقع في النفس وأشد إثارة لانبهاجها بالحياة ؛ وأدعى إلى الفرح بالإنسانية : أن تظهر الوحدات الإنسانية في حشود استمراراتها النظمية والرياضية ، ومواكبها الفنية التي تظهر جمال أجسامها وإشراق ديباجة الحياة بها ... أم أن تظهرها في أفراد منشورة وزرصر مبعثرة من الفقراء الضعفاء المجزأة الجلهاء الميزولين السكتيين المتشائمين ، الذين يقتلهم الصمت والفرقة والوحشة ، قد طمست نضرة الحياة في وجوههم ، وانطفأ نورها من عيونهم ، ونحنت شعلتها في قلوبهم ، ونمطت أيديهم من العمل ، وأذهابهم من العلم فليس لهم مهارة في مهنة ، أو إثارة من علوم الدنيا ؟ لا شك أن رؤية استعراض عسكري أو نظائى أو رياضى كاف أن يقذف في قلوب المتشائمين شعلات وشحنات كهربية تردمهم إلى الفرح بالحياة والحماس لها ، وللمعيشة بالأجسام عيشة رحيبة ، إن كانوا ذوى طبع سليم يستجيب لمعامل الحياة .

إننا نستطيع أن نقول : إن أجسام الإنسانية ماهى إلا نبات ، كاله وظهور أسرارها والانبهاج به يكون عن طريق تصحيح أعواده وتقويتها وتجميلها إلى آخر حدود الصحة والجمال . وإذا تفتحت أجسامنا في صحة وقوة وجمال كما تفتح الأزهار وتنضج الثمار ، حملنا ذلك على أن نحب الحياة ونحبنا ، ما دمتنا قد جعلنا عقولنا وقلوبنا كمناطق النمو التي في النبات ، محفوظة من الآفات وعوامل الفساد . وإن كل تنظيم جسمى ومادى مما يكون في ذات الإنسان أو في مرافق حياته يزيد في ثقة الإنسانية بنفسها ، ويوضح أسرارها ، ويحلو امتيازها على غيرها .

وقد تدخلت يد الإنسان في نبات الحقول ، ووزعت البذور بحيث ينال كل منها حظه وحقه من الماء والهواء والضوء ، وتلبت أعواده متتابعاً بعضها عن بعض بدون احتكاك وطفيان ، وسهرت عينه عليها فخرستها من الآفات والجراثيم الضارة ، فخرجت أعواده وأوراقه وثماره مخضلة وارقة راقصة ، تغطي الأرض الجمال والنعاء وسداد الاحتياجات .

وكانت فعلت مع الحيوان ، فلجست نسله وتحيرته ومنعت طفلياً بعضه على بعضه ؛ وروضته واستأنسته حتى صار منظرة في المراعي والحظائر كذلك يغطى الأرض جمالا ورواء ومنافع . فباليد الإنسان لا تتدخل في مناطق نمو النفوس والأجسام

الإنسانية بالتعليم والتهديب والتريب والتجميل ، بل تركتها تنمو نمواً « شيطانياً » متطاعياً ؟

ولقد أرى الوجه المشوه الأكمه الجذور القبيح المركب على جسم مهزول ، والحامل للسان قذر وعقل مسموح ، فأقول : هل يجوز أن تخرج ثمرة بطيئتها إلى الحياة هذا الخروج ؟ ! أم أن هناك اعتداء على عوامل التكوين والتجميل التي تولت إخراج هذه الثمرة منع عنها الصحة والجمال ؟ !

إنه اعتداء مسلسل في الأنسال المتحدرة في أجيال الجهالة والضللال ...

فاسألوا الأمراض الخبيثة الوراثية ، وسلوا الأغذية السامة ، وسلوا الإهمال الشائن للأبوة والأمومة ؛ ولا تهيموا عوامل التكوين الأنيبة الدقيقة .

إن كفاح الحياة الإنسانية في سبيل حفظ ذاتها كفاح هائل ! فبرغم عوامل الفناء والدمار قد كثر عدد الإنسانية كثرة غصت بها أكثر بقاع الأرض خصوبة ، وضعف عدد كل أمة أضعافاً مضاعفة ، وصارت مجموعات الناس وتشكيلاتهم أمراً لا يقاس به ما كان لهم في القديم . وهذا مما يدل على أن شجرة الحياة الإنسانية وفصائلها خلقت للنمو والصحة والقوة والإنتاج ، وملء المسرح الأرضى الذى قدر عليها أن تمثل دورها فيه .

فتمو العدد ، وتمو صحة الأجسام ، وتمو العلوم ، وتمو الاختبارات والتجارب ... كل أولئك إشارات بليغة من حياة صادقة إلى مستقبل سعيد لهذا النوع الذى لمّا يعرف أسرارها بعد ! ...

هيد النعم همدوف

ادارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس المحلة الكبرى البلدى في
الناقصة العامة توريد ٧٠٠ أردب شحير
و ٣٥٠ حمل تبين وقد تحدد ظهر يوم
١٩٤٥/٦/١٨ تفتح المطايات يديوان
البلدية ويجب ان ترفق المطايات بتأمين
ابتدائى قدره ٢٪ من قيمتها . ٣٥٤٢